# في الاجتماع

## معركة الرزق

بقلم الدكتور يحيى احمد الدرديرى

الرزق هو ما أقام حياة الانسان ليؤدى واجبه فى هذا العالم حتى ينتقل إلى العالم الآخر، فرزق الجنين ما يصل إليه من غذاء أمه ؛ ورزق الرضيع ما يصل إليه من لبن وماء وهواء ودفء من ملبس وحرارة الشمس ، ورزق الفطيم ما يحصل عليه من غذاء وملبس وعناية بتربيته ؛ وكلما تقدم الانسان فى العمر كلما زادت حاجته إلى العناية بجسمه وتهذيب نفسه .. وتثقيف عقله

الرزق حسب ما تتصوره الأغلبية الساحقة من هذا العالم هو المال ، والحصول على المال بكافة الطرق الممكنة .

صحيح أن المال هو إحدى الوسائل الهامة للحصول على الكثير من رغبات الانسان ، ولكن ليس المال هو كل شىء فى هذه الحياة كما أنه ليس الغاية من هذه الحياة ، وإذا كان المال غرضا كان الساعى فى جمعه أشبه بالحمال الذى يتكلف نقل الشىء من مكان إلى مكان مع الجهد الكبير والعناء الكثير والأجر القليل : فهل يمكن شراء الرضا ؛ وهل يمكن بيع الطمأنينة وتقديس الواجب وهل تمهر القناعة وهى أساس سعادة النفس ولا تكون سعادة إلا بها ؟ .

مسألة الرزق اليوم أخذت شكلا مروعا مخيفا لو تدبره الانسان عن كثب لرأى معركة طاحنة دامية بين الشعوب بعضها مع بعض . فالقوى يريد أن يسطو على الضعيف . ليستغله فى سبيل ازدياد رزقه ، أو بعبارة أخرى ازدياد ثروته وقوته — ومن هنا نشأ الاستعمار ، والخلاف بين الأحزاب بعضها مع بعض فى الأمة الواحدة طلبا للحكم أو بعبارة أصح رغبة فى الرزق الموفور الذى يستتبعه ، وبين الأغنياء والفقراء . يطلب الأولون بقاء ما فى أيديهم من الأرزاق ويرغب الآخرون فى الاستمتاع بكدهم كاملا . ومن هنا نشأت الاشتراكية على اختلاف أنواعها ، وقاومتها الأحزاب الأخرى من وطنية وملكية الخ .

وهل الحرب العالمية الكبرى التى ذهبت بأكثر من خمسة وعشرين مليون نفس بين قتيل وجريح وذى عاهة إلا نتيجة التطاحن على الرزق والفوز بأكبر نصيب منه .

هذه الأزمة العالمية التى يرزح العالم اليوم تحت أعبائها وعجز عن حلها كبار الساسة

والتابهون من علماء الاقتصاد والمـال ، لم تـكن عندى إلا أزمة نفسية قبل كل شيء قوامها الطمع والاستئثار فى جمع المال وما يتبعه من نتائج الاستمتاع بالشهوات.

إذا كانت الشهوات هى المالكة لزمام العقل تسخره لتحقيق أغراضها فكثيرا ما تتنكبه جادة الصواب لأنها لا حد لها ولا غاية ، ولذلك يكون من العسير إرضاؤها وهى لا ترضى إلا مقهورة . فالرجل الذى تملكه شهوة جمع المال لا يقف عندحد فى سبيل الحصول عليه وقد ورد فى الأثر . « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا . ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب » إذ أن طمعه لا ينتهى إلا بالموت .

أحس الأستاذ الدكتور غوستاف لوبون بما ينتاب أوروبا من الخطر فحذر وأنذر فى كتابه « روح الاشتراكية » فقال : « الخطر محدق بنا الآن لأضاعتنا ما عندنا من المعتقدات العامة ، وقد أخذت مصالحنا الشخصية تحل محل مصالحنا العامة المتشابهة، وما قامت عليه نظمنا وشرائعنا وفنوننا وتربيتنا من المعتقدات ينقضى كل يوم . ولا تقدر العلوم والفلسفة أن تحل مكان هذه المعتقدات لأن ذلك لم يكن قط من خصائصها .

على أننا لم نتخلص فى الواقع من تأثير الماضى، لأن ذلك فوق طاقة الانسان، ولكننا لا نثق بالمبادىء التى أقيم عليها بنياننا الاجتماعى وقد نشأ عن هذا الأفكار اختلاف مستمر بين مشاعرنا الأرثية وأفكارنا الحاضرة ولا توجد بعد رياسة أخلاقية أو دينية أو سياسية يقر بها الناس كما فى الماضى ، ولا يجرؤ أحد على أن يرجو إيجاد إمامة لهذه المسائل الجوهرية ، فأصبحت الحكومة بذلك مرغمة على مسايرة الرأى العام والأذعان إلى تقلباته المتوالية بدلا من قيادته . وصف الدكتور غوستاف ليبون الرأى العام بأنه لا يعرف إلا المشاعر المفرطة أو قلة المبالاة ولا وسط بينهما ، فهو يشبه النساء فى عجزه عن ضبط نفسه ، وتهزه رياح العوارض الخارجية دائما(١)

سار الشرق وراء الغرب بقلده فى مبادئه وهو ضعيف البنية ولم يبلغ من القوة ما بلغه الغرب من التقدم فى الصناعة والزراعة وسائر العلوم ، ولذلك كان الخطر عليه أشد إذا لم يتدارك أمره فواجب على المسلمين حكومات وجماعات وأفرادا أن يتدبروا فيما نحن سائرون إليه.

إن الانحلال العائلى بدأت تظهر أعراضه فى الشرق وإن المسائل العامة التى تعمل لها الجماعات سياسية كانت أو اجتماعية كثيرا ما تعمل الأفراد فيها لمغنم شخصى عاجل أو آجل لا للخير العام ، وهذا ما يهددها بل ما يقضى عليها وهى فى المهد . لانه إذا ما رأى القائمون بالأمر أى مغنم آخر انصرفوا إليه .

إن المتأمل فى هذه الحياة يرى أن الله جل شأنه قد كفل أرزاق العباد . بل الخلق جميعا

(١) كتاب روح الاشتراكية للدكتور غوستاف لوبون

من إنسان وحيوان ونبات ، وهو تعالى حينما قدر الآجال قدر معها الأرزاق التى تضمن بقاءها حتى الموعد المحدود . فقال تعالى وقوله الحق « وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين » فعبر بعلى التى فى لغة العرب للوجوب والثبوت . ولم يعبر باللام التى هى للتخيير حتى يحتمل أنه سبحانه له أن يرزقها أو لا يرزقها بل قال عليه : يعنى حقا : كقوله تعالى : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » والحق لا يضيع حقا عليه، والمستقر من الرزق ما يأتيها فى مستقرها ومكانها الذى هى مستقرة به ؛ فتساق إليه ، وقد ورد فى الأثر :

«لو ركب الانسان الريح وهرب من رزقه ، لركب الرزق الريح وأدركه حتى يدخل فى فيه »

ولما كان لكل إنسان عمل منوط به فى هذه الحياة وهو محاسب عليه فى الدنيا والآخرة قضت سنة الله ـ وهو البر الرحيم بعباده ـ ألا يشغلهم بشيئين : بالرزق . وأداء ماهو مفروض عليهم من العمل، فكفل أرزاقهم وهو الغنى الخبير،وقال لهم اعملوا ما كلفتم به وستجزون ما كنتم تعملون . وبهذا رفع أكبر مسألة خلافية بين البشر يتسبب عنها التناحر والتخاصم على الرزق والتكالب عليه ، هذا لو عقلوا قدر الخالق وقطنوا إلى ما دعاهم إليه من عبادته وطاعته .

يترتب على ضمان الله تعالى للرزق أمور هامة نذكر منها :

١ — إتقان الانسان عمله لأن من تفرغ لشىء أحسنه

٢ — محبة الانسان لأخوانه فيسعد المجتمع .

٣ — توثيق عرى التضامن بين الافراد فيقوى المجتمع ويشتد

روى أن صاحبا لأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه يقال له همام،وكان رجلا صالحا فقال : يا أمير المؤمنين صف لى المتقين حتى كأنى أنظر إليهم فأجاب :

« إن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم . آمنا من معصيتهم لأنه لا تضره معصية من عصاه ،ولا تنفعه طاعة من أطاعه ، فقسم بينهم معيشتهم ووضعهم من الدنيا مواضعهم، فالمتقون فيها هم أهل الفضائل . منطقهم الصواب . وملبسهم الاقتصاد . ومشيهم التواضع ،غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم . لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير،فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون ،فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة فى دين ، وحزما فى لين ، وإيمانا فى يقين ،وحرصا فى علم ، وعلما فى حلم ، وقصدا فى غنى ، وخشوعا فى عبادة ، وتجملا فى فاقة ، وصبرا فى شدة ، وطلبا فى حلال ، ونشاطا فى هدى ، وتحرجا ( أى تباعدا ) عن طمع ،يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ، يمسى وهمه الشكر ، ويصبح وهمه الذكر ، يمزج الحلم بالعلم ،والقول

بالعمل ، تراه قريبا أمله ، قليلا زلله ، خاشعا قلبه ، قانعة نفسه ، منزورا أكله ، سهلا أمره ، حريزا ( أى حصينا ) دينه ، ميتة شهواته ، مكظوما غيظه ، الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون ، يعفو عمن ظلمه ، ويعطى من حرمه ، ويصل من قطعه ، بعيدا فحشه ، لينا قوله ، غائبا منكره ، حاضرا معروفه ، مقبلا خيره ، مدبرا شره ، فى الزلازل ( الشدائد ) وقور ( لا يضارب ) ، وفى المكاره صبور ، وفى الرخاء شكور ، لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب ، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه ، لا يدخل فى الباطل ، ولا يخرج من الحق ، نفسه منه فى عناء ، والناس منه فى راحة ، أتعب نفسه لآخرته ، وأراح الناس من نفسه ، بعده ممن تباعد عنه زهد ونزاهة ، ودنوه ممن دانا منه لين ورحمة ، ليس تباعده بكبر وعظمة ، ولا دنوه بمكر وخديعة » .

إن مجتمعا يسوده الإيمان بالله والوثوق بوعده والرضا عنه والاشتغال بما أمر ، لجدير أن يخرج من بينه أحسن الأفكار وأرقى النظم وخير العمل ، وهكذا كان المسلمون فى صدر الإسلام .

والرزق مثل الأجر الذى استأثر الله تعالى بعلمه وبتقديره حتى لا يتكل الانسان على الأسباب التى يجب أن يأخذ بها . ولكن يجب أن يكون توكله كله على الله تعالى وهو المعبود وهو المقصود وإليه يرجع الأمر من قبل ومن بعد . لو سألت أكبر علماء الاقتصاد فى العالم عن رزق أمته من منتجات أو استهلاك أو عن رزق نفسه كم يكون فى الغد أو بعد الغد لما وسعه ان يجزم بشىء قط . ولكان جوابه من الحدث والتخمين أقرب منه إلى الحقيقة . وأذكر مثلا ماسمعته بأذنى . كان أحد علماء الاقتصاد فى جامعة جنيف يدرس لنا نظام البورصة فقال لنا فى الدرس الختامى .

قد أفضيت اليكم بما أعلم من نظام البورصة وأسباب النزول والارتفاع للأسعار وقد اشتغلت بهذا العلم زمنا طويلا وبقيت لى نصيحة أسديها إليكم وهى : لا تدخلوا البورصة ولا تضاربوا فيها أبدا . فانى مكثت ثمانية عشر عاما وأنا أضارب فيها ولم أخرج من مضاربانى إلا بالخسران . والعاقل من اتعظ بغيره .

قال رسول الله ﷺ « إن روح القدس نفث فى روعى أن لن يموت عبد حتى يستكمل رزقه فأجملوا فى الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوا شيئا من فضل الله بمعصية فانه لا ينال ما عند الله إلا بطاعته . ألا وإن لكل امرىء رزقا هو يأتيه لا محالة . فمن رضى به بورك له فيه فوسعه ، ومن لم يرض به لم يبارك له فيه ولم يسعه وإن الرزق ليطلب الرجل كما يطلبه أجله » .

ليس بعد ضمان الله تعالى للرزق قول لقائل . وإن المشاهدات اليومية والتجارب الماضية والحالية تشهد بأن الله وحده هو المتصرف بأرزاق العباد . فلا العلم ولا الاجتهاد ولا المكر ولا الحيلة ولا الغش والخداع بزائدة فى رزق الانسان بل كثيرا ما تكون سببا لضياع ما فى يده من مال وخصوصا إذا خلا صاحبها من الاخلاص .

العلم والاجتهاد وسيلة لأداء واجب الانسان على الوجه المطلوب . وقد يكون أداء الواجب سببا فى نماء الرزق وقد لا يكون . فان الحرمان من الأجر المادى كثيرا ما يعوض بالأجر المعنوى وكثيرا ما يكون ذلك أكبر أثرا فى النفس .

قد يقول قائل إذا كان الرزق قد ضمن فقيم إذن العمل به وكأنى بهذا السائل يحسب الحياة أكلا وشربا واستمتاعا بالذات . وإذا صح هذا عنده فالحياة الانسانية تكون حياة بهيمية محضة . وقد قيل ( من كان همه ما يدخل فى جوفه فقيمته ما يخرج منه ) .

ضمن الله سبحانه وتعالى الرزق لعباده ليخلصوا له فى عبادته فالاخلاص فى العبادات والصدق فى المعاملات مع الناس جميعاً وإتقان العمل كل حسب استعداده . فالزارع فى زراعته والصانع فى صناعته والمدرس فى دروسه والموظف فى وظيفته والتلميذ فى تلقى علومه والطبيب والمهندس كل فى أداء مهمته ، والاحسان فى المعاملة عذاما يدعو إليه الدين ، وهذا ما يجب أن يكون عم كل إنسان وبهذا الطريق وحده تسير الأمة إلى الرقى المنشود وتسعد فى الدارين

---

# أغانى الكوخ

ديوان من الشعر الرصين للشاعر الناشىء الأستاذ محمود حسن اسماعيل وهو درة الشاعرية المبتكرة ، وقد أعجبنا بابتكاره الحر ردعوته إلى رسالته فى صراحة ، وفى قصيدته « الفردوس المهجور » آية واضحة على ما يكتنف الشاعر من سامى المعانى ورائع الخيال ، وكذا فى قصيدته « خمر الأنوثة » ما يشهد له بالاحساس الدقيق الرقيق ، وعلى العموم فديوان « أغانى الكوخ » ينطق بوضوح بما للشاعر المجيد من النهوض والمقام المحمود .

ولئن هنأناه على توفيقه بما أخرج لنا من طيب الثمرات من سائغ قوله وخلاصة فكره فأنما نهنئه من الأعماق على حسن جهوده الموفقة التى كان لها أثرها فى جودة الطبع والاناقة فنرجو لهذا الديوان ما هو جدير به من التشجيع والتقدير .